77 عاماً من الكتابة والجنون والولع بالنّساء

هوغو كلاوس: شاعر الحزن البلجيكي

بروكسيل: ترجمة وتقديم عماد فؤاد

■ في عام 2004 قامت هولندا وبلجيكا بتنظيم احتفاليات ثقافية ضخمة لمناسبة مرور خمسة وسبعين عاماً على مولد الكاتب والشاعر والروائي البلجيكي الأشهر «هوغو كلاوس» HUGO CLAUS، هذا الكاتب الذي يوصف بأنه أبو الأدب الفلمنكي، ومجدد اللغة الهولندية القديمة، وصاحب أكثر الكتب مبيعاً في البلدين بلجيكا وهولندا، وعلى الرغم من ترشيحه سنوياً لنيل جائزة نوبل في الآداب، إلا أن كاتبنا لم يحظ بها حتى الآن، وإن كانت كتبه ومؤلفاته في الشعر والمسرح والرواية جعلته يحصد العديد من الجوائز العالمية من مختلف بلدان العالم.

ولد «هوغو موريس جوليان كلاوس» في الخامس من نيسان (أبريل) سنة 1929 بمدينة «بروغه» Brugge البلجيكية، ألحقته أمه وهو ابن عام ونصف بمدرسة داخلية في أحد الأديرة الكاثوليكية حتى بلغ من العمر أحد عشر عاماً، هذه الأعوام كان لها أثر كبير في تشكل شخصية «كلاوس» الأدبية، مما جعله يستعيد هذه الفترة من حياته بعد سنين عدة ويضمنها أحداث روايته الشهيرة «حزن بلجيكا» الصادرة في Het verdriet van Belgiâ عام 1983.

في عام 1946 يلتحق كلاوس وهو ابن سبعة عشر عاماً بأكاديمية الفنون الجميلة بمدينة «خنت» Gent البلجيكية دارساً النحت والفنون التشكيلية، لكن اتجاهه الأدبي يبدأ في السيطرة عليه شيئاً فشيئاً، فيبدأ في كتابة الشعر ويصدر مجموعته الشعرية الأولى «سلسلة صغيرة» Kleine reeks 1947، في هذه المجموعة كانت أشعار «كلاوس» كعادة الشعراء الصغار مفعمة بالمشاعر الدافئة والأحاسيس المراهقة، لكنها جاءت معلنة عن موهبته الفذة في اللعب باللغة الهولندية التي كانت توصف حتى ذلك الحين بالجمود وعدم مناسبتها للشعر! يتطور الحس الشعري لدى «كلاوس» في الخمسينيات لينحاز أكثر فأكثر إلى الحداثة وليواكب الحركات الأدبية الأحدث في العالم، هذا الإنحياز الذي بلغ ذروته في مجموعته الشعرية «قصائد أوست أكرسه» Oostakkerse gedichten 1955، يعود كلاوس في قصائده الأحدث لاحقاً إلى الحس الكلاسيكي ولكن في قالب شخصي يمزج فيه التفاصيل الشخصانية بالحكايات الأسطورية التي تمجد الأنثى في شكل مضاد للباتريارکية.

في عام 1950 يصدر «كلاوس» أولى رواياته «صائد البط» De Metsiers، أما في مجال دراساته التشكيلية فيصبح أحد أبرز أعضاء حركة «كوبرا» الشهيرة في الفن التشكيلي العالمي، شجعه على الالتحاق بهذه الحركة الرسام البلجيكي «دوترمون» لما لاحظه على الفنان الشاب من موهبة ميزته عن أقرانه، لكن هذا الاحتكاك بعالم الحركات الفنية في التشكيل لم يثنه عن ولعه بالأدب، فيبدأ في العمل بالصحافة وهو ما جعل اسمه يتردد في الأوساط الأدبية بفضل كتاباته المنتظمة في عدد من الصحف البلجيكية والهولندية. في مجال الكتابة المسرحية يشتهر «كلاوس» دولياً بمسرحيته «عروس في الصباح» Een bruid in de morgen 1955، ثم يصدر مسرحيته «سكر» Suiker 1958، في هذه الفترة تميزت عوالم مسرحياته باعتماد أجوائها على عوالم الروايات والأدب القديم كما في أعمال وليم شكسبير وسيرفانتس وغيرهما، لكن تظل مسرحيته «الجمعة» أشهر مسرحياته وأكثرها Vrijdag 1969 نجاحاً، والتي تحولت إلى فيلم سينمائي في عام 1980.

هوغو كلاوس

في الروايات التي كتبها «كلاوس» نجد ولعه بالأساطير كما في روايتيه «أيام الكلب» De hondsdagen 1952، و«الخجل» Schaamte 1972، ولكن إلى جوار هذه الروايات التي تتخذ من الأسطورة قالباً لها، نجد أن «كلاوس» يصدر في عام 1978 روايته الواقعية «الرغبة» Het Verlangen ورواية «حزن بلجيكا» Het verdriet van Belgiâ والتي ضمنها أحداثاً تسجيلية عن 1983 تاريخ إحدى العائلات البلجيكية، لكنه في الوقت نفسه يضمنها أحداثاً اجتماعية وسياسية وقعت إبان الحرب العالمية الثانية، وبفضل النجاح الكبير الذي حققته «حزن بلجيكا» يتم تحويلها إلى مسلسل تليفزيوني في عام 1994 لاقى نجاحاً مذهلاً سواء في بلجيكا أو هولندا، ولن نجاوز الحقيقة حين نقول إن روايته هذه هي التي نصبته أباً للأدب البلجيكي المكتوب باللغة الهولندية، حيث ظلت أعواماً تحافظ على موقعها في قائمة الأفضل مبيعاً في هولندا وبلجيكا، وترجمت إلى أكثر من عشرين لغة، وأصبحت اللغة الهولندية حين تتباهى بكتابها الكبار تذكر اسمين لا ثالث لهما: الهولندي هاري موليش Harry Mulisch 29 يوليو 1927– .....)، والبلجيكي «هوغو كلاوس» نيسان (أبريل) 1929– .....).

في عام 1969 يكتب «هوغو كلاوس» مسرحية «الجمعة» Vrijdag ويتم افتتاحها في العاصمة الهولندية أمستردام، وربما كانت هذه المسرحية هي أول عمل أدبي يتجلى فيه وبوضوح الأسلوب الذي سوف يشتهر به «كلاوس» أدبياً فيما بعد، ألا وهو مزجه السحري بين اللغة الهولندية الفصحى ولهجاتها المتعددة في بلجيكا وهولندا، وبدءاً من عام 1970 ينتقل «كلاوس» للعيش في العاصمة الهولندية «أمستردام» ويقيم هناك – وبعيداً عن عش الزوجية الذي جمعه بممثلة ناشئة وكانت ثمرته طفله الأول «توماس» ـ علاقة غرامية مع ممثلة أخرى تدعى «كيتي كوربوا»، وهي العلاقة التي يتناولها في روايته «سنة السرطان Het jaar van de kreeft 1972، وعلى أثر فشل هذه العلاقة الغرامية يهجر الكاتب الموله بالنساء «أمستردام» ليقيم في الفترة من 1973 وحتى 1978 في باريس، حيث علاقة غرامية أخرى مع ممثلة ثالثة هي هذه المرة نجمة سلسلة أفلام الإيروتيك الشهيرة «إيمانويل» Sylvia «سيلفيا كريستل» Emmanuelle Kristel والتي ينجب منها طفله الثاني «آرتور».

بدءاً من عام 1993 يعود «كلاوس» للاستقرار من جديد عاطفياً، ويتزوج هذه المرة من فتاة بلجيكية تدعى «فيرلا دو ويت» ويقيم معها في مدينته الأحب «خنت». بعد عامين من هذا الاستقرار العاطفي والنفسي يغامر «هوغو كلاوس» بكتابة وإخراج أول فيلم في حياته كمشاغب كبير في عالم الفنون والأدب، فيظهر عمله «الأعداء» De Vijanden دون أن يترك إضافة ما إلى تاريخه الأدبي اللهم إلا التأكيد على روح أديب بلجيكا الغير قابلة للتصنيف، فهو يكتب الشعر والرواية والمسرح والسيناريو إلى جانب الرسم والإخراج، حتى كتابة الأغنية لم تنج منه، حيث قدم عدداً من أشهر الأغاني التي غنتها المطربة الهولندية المعروفة «ليسبت ليست» Liesbeth List على مدار تاريخه الأدبي قدم «هوغو كلاوس» إلى الأدب المكتوب باللغة الهولندية سبعا وعشرين مجموعة شعرية، وستا وعشرين رواية، وأربعا وأربعين مسرحية، وقبل حلول عامه الخامس والسبعين، أصدر «كلاوس» في عام 2003 مجموعته الشعرية «تنهيدة البحر» التي أعلن بعد صدورها أنه لن Zeezucht يكتب الشعر مرة أخرى، وللمفارقة صدرت هذه المجموعة في 76 ألف نسخة بيعت بأكملها في الأسبوع الأول من صدورها.

مختارات شعرية لـ«هوغو كلاوس»

1917

لو تصمت المدافع ـ وقت القداس ـ في
الجبهة الأخرى
لسمعنا صمت الميتين الذين يئنُّون.

حينها سوف نسنُّ رؤوس رماحنا.
فبعد قليلٍ لن يتبقى سوى أمواس
الحلاقة.
يستطيع المرء أن يشوِّه نفسه بسهولةٍ.

بدور الكونياك.
كُتِبَتْ الخطابات إلى البيت.
واطَّلع عليها ضباطنا أولاً:
«عزيزتي «ماجدة»
حانت اللحظة
علينا مراعاة الوصول هناك قبلهم
قال قائدنا:
«كما في الكرة
الهدف الأول يضعف معنويات العدو».

ماجدة العزيزة
قناع الغاز بدأ في التراخي على وجهي
ألا زلت تذكرين،
في الغابة؟».

* من مجموعة «سعادة قاسية» 1999.

مرثية لهرمان*

«سيأتي الحاضر مثل البحر» قلتَ
والحاضر هناك الآن
وأنتَ هنا.

كل جملة منكَ نبوءة
«ستصبح الأشكال ديدانا» قلتَ* *
سرتَ بجانبي وسألتُكَ:
«هل استطعتَ النوم؟»
«نعم، في الحقيقة لا»، أجبتَ
وحين أمسك شخص ذراعي
لم ألتفت ورائي
كنتَ ملقى على الرصيف ذي الأحجار
البرتغالية الصغيرة
سمعتُ موتكَ
حين وضع أحدهم ثلاث أزهار قرنفل
فوق صدركَ

كلماتكَ الآن تلهو دون خالقها
أنتَ،
شحوب لونكَ الذي يفوق بياض
سيجارتكَ،
الخط الفحمي الغامق لحاجبيكَ،
جسدكَ المضطرب،
أصواتكَ المليئة بدخان صمتكَ
تذوب كلها الآن في صمت البحر.

ونبقى نحن مع فُتاتكَ النقي المدفون
في زماننا وزماننا
على الأرض.

* كتب «هوغو كلاوس» هذه المرثية في صديقه الشاعر البلجيكي «هرمان دو كونينك» (Herman de Conick 1944ـ 1997) الذي مات فجأة أثناء أحد المهرجانات الشعرية بالعاصمة البرتغالية ليشبونة عن 53 عاماً، هنا يستعيد

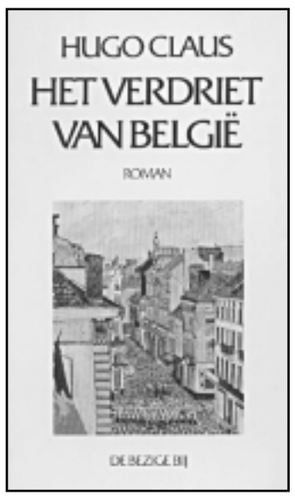

غلاف الكتاب

«كلاوس» إحدى أشهر القصائد التي كتبها «هرمان دو كونينك» وهي بعنوان «مثل البحر».

* * يلعب «كلاوس» هنا بتشابه كلمات ثلاث في اللغة الهولندية : worden التي تعني «أشكال»، Vormen التي تعني «تصبح»، wormen التي تعني «ديدانا».

إلى العمة إميلدا
من نعم الحروب
أن تشَح حصص الطعام
وتجعلك تفقدين الكثير من الوزن.

العمة إميلدا
تستطيع الآن أن ترتدي ملابس السنة
الماضية
بل وتتجرأ على الغناء أمام الملأ.

في النور المغبَّش لقاعة احتفالات القرية
وسط باقات أزهار البلاستيك
تصبح العمة «إميلدا»
«الكونتيسة ماريتزا»*

* من مجموعة «أكتوبر 43» ((1998.
(*) كتبت في الأصل باللغة الألمانية «Grifin Maritza» إشارة إلى وجود الجنود الألمان إبَّان الحرب العالمية الثانية على الأراضي البلجيكية.

أكتبكِ

امرأتي، مذبح قرابيني الكافر
الذي أداعبه عزفاً بأصابع من نور
غابتي الصغيرة التي أبيت فيها شتائي
آيتي، مريضة الأعصاب، المدنسة،
العطوفة
أكتب تنفُّسك وجسدك
في نوتات المَوسيقى.

لأذنيك أزفُّ وعدي بأبراج فلكية
لم يستعملها أحد من قبل
وأعدُّ لك من جديد رحلات إلى بلاد
العالم
خوفاً من توقف إجباري في بقعة ما.

ولكن لدى الأرباب ومجرَّات النجوم
تصبح السعادة الأبدية أيضاً مميتة
تعباً
وليس لديَّ منزل، ليس لديَّ فراش
حتى أنني لا أملك الرغبة في إهدائك
زهوراً لعيد ميلادك.

أكتبك على الورق
فيما أنَت
تنتفخينَ وتتبرعمين
كبستان مثمرٍ في يوليو.

* من مجموعة «أكتبك» 2002

الأدب والمصحف وبورخس

بشير مفتي*

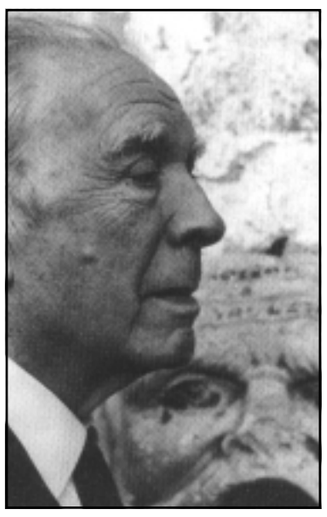

بورخس

■ اكتشفت المصحف، وأنا في الخامسة من عمري، أو السادسة ربما، هل أسمي ذلك اكتشافا حقا، أم فقط تواجده بالبيت، بعدد معتبر من النسخ، كل نسخة لها حجم وشكل وعدد من السور، كان لا بد أن يقودني في يوم من الأيام إلى أن أقع عليه في مكان ما بالبيت؟ أن أتلمسه في البداية كما يتلمس شخص ما شيئا مقدسا، ولكن غريبا عليه، وأن أتصفحه بعيني قبل أن أتصفحه بلساني وشفتي بعدها، كما يفعل الكبار عادة، وكانت أول مرة كما أذكر الآن، مجلب سخط عائلي علي، فوالدي غضب من ذلك أشد الغضب، وراح يصرخ ويحتج، ربما كان يتظاهر بذلك فقط، حتى أتعلم قدسية المصحف، ولا أستصغر أهميته، وينهر، ويكاد يضربني على فعلتي تلك، ولم أفهم السبب إلا من والدتي التي ستخبرني بأن المصحف لا يمكن أن يلمس إلا بعد تطهر كامل ووضوء كبير، وبعدها يحق لي التقرب منه. كان ذلك أول درس تعلمته، هو أن لا أقترب من ذلك الكتاب إلا بعد أن أكون في حالة من الطهارة تسمح بلمسه، وتسمح ببداية الرحيل معه. بعدها بسنوات، تعلمت الصلاة من فرط ما كنت أرى والدي يصلي، وكان يأخذني معه حتى فجرا إلى أحد الجوامع. هناك بدأت أستمع إلى من يرتلون القرآن ترتيلا غريبا وساحرا، وكان كل ذلك يزيد من إيقاظ شيء نائم في، شيء رائع وجميل، كنت أصلي في سني تلك دون خشوع، ولم أجرؤ على التساؤل إن كان الناس يخشعون في الصلاة أم إن كانت علاقتهم بالله حقيقية أم مجرد طقوس. لم أكن في الحقيقة قد بدأت أطرح على نفسي تلك الأسئلة المحيرة التي ستقودني بشكل من الأشكال إلى الأدب بعدها بسنوات طويلة.

بدأت أقرأ السور الصغيرة من القرآن، ولم أكن لأفهم فيها أي شيء، كانت العربية التي كتب بها هي الأخرى عجيبة ومثيرة ومليئة بالأسرار، ووالدي كان يصر على أن أحفظ تلك السور حتى أستطيع أن أصلي بطريقة حسنة. حاولت الحفظ دون جدوى، ولكن التكرار اليومي خمس مرات يجعل حتما الكلمات القرآنية ترسخ في الذهن بطريقة لاواعية وغير مدركة حتما، وأصبح القرآن هكذا شيئا فيَّ، منقوشا بداخلي.

حفظت قليلا منها، وإن لم تخني الذاكرة حتى جزء «عمّ»، وبعدها أدخلني والدي إلى حلقة أحد الأئمة بحي المدنية بالجزائر العاصمة لأكمل حفظ الباقي، ولكن بعد تجربة شهر فقط، لم أستطع المداومة، ذلك أنني لم أكن راضيا على طريقة الإمام الذي لم يكن يتوانى عن الضرب بعصاه الخشنة تلك، كلما سها بال الواحد من طلابه، أو شرد قليلا فتنزل الضربة على الرأس أو الصدر أو الكتفين فجأة، وتحدث بداخلي صدمة الاستيقاظ، فأعود للترتيل السريع مع بقية الأوركسترا.

تركت تلك الحلقة غير نادم على فعلتي، وبقيت من حين لآخر أرتل القرآن لوحدي، ولا أخفي على أحد أن سحره بقي نافذا فيَّ، وكنت أشعر بارتباك لا نهائي أمام حروفه وكلماته، وقصصه وطريقة نسجها، فأزداد إحساسا بأهميتها، وقناعة بعظمته وسحره الخاص والمؤثر.

لقد بقيت علاقتي مع هذا النص قوية إلى غاية دخولي الجامعة، وهنا حدث الانقطاع الأول الذي دام سنوات طويلة حيث استغرقتني الدراسة، وما بدا يعتمل بداخلي من أسئلة ملتبسة وغامضة عن كل شيء ولا شيء. بدا لي القرآن كلاسيكيا فجأة، ولا يجيب على الأسئلة التي أنشد معرفة ما وراءها. (شبهت هذه الحالة بشخصية ديدالوس في رواية جويس المعروفة «صورة الفنان في شبابه»). كنت في الحقيقة قد بدأت مسلكا آخر اسمه الأدب، وعلاقتي بالدين بدأت تضعف قليلا، ويقل مفعولها، فأتركه من ورائي، وأتقدم إلى الأمام ظنا مني أن ما سينتظرني في المستقبل هو المهم، والأقدر على تحريري من قوقعتي الداخلية تلك.

اكتشفت مع الكتب الأدبية العزلة، أو حب العزلة، أن أكون منفردا مع نفسي، ومع تلك الكتب التي تحكي عن العالم، وما فيه، عن الحب والموت والحياة بشكل عام، ووجدت روحي في تلك النصوص التي كانت من صنع بشر ناقصين مثلي، حيث ظهر لي أن العظمة كل العظمة في الجنس البشري تكمن في النقص ذاته، في ذلك الضعف، وأنه عندما نكتب من تلك الزاوية، فنحن نحس ببعضنا البعض أكثر. نحس بأن حياتنا متساوية بغض النظر عن تفاوتنا الطبقي، أو بيئتنا الاجتماعية، أو مستوانا المعيشي فجون ستانباك، وهو يحكي الواقع الأمريكي في العشرينات أثناء الأزمة الاقتصادية العالمية الكبرى كان يخاطبني، مثلما خاطبني فرانز كافكا التشيكي واليهودي (لا يعبأ الأدب نهائيا بالأصل والدين والهوية، بل يعمل على التشكيك، وحتى النفي، وأحيانا الهداية) عن عالم مخيف، مزدوج، تلتبس فيه الحقيقة، وتضيع علاماتها في التجريد والرمز، وعن وجود يحكم علينا أن نحاكم فيه من دون جرم واضح، وأن نموت كما جوزيف ك دون أن نعرف ما هو سبب هذا الحكم بالإعدام.. كل هذا كان مثيرا في الأدب.

ولكن في سنوات العنف والدم، سنوات الجزائر الحمراء، التي انقطعنا فيها عن العالم، وانقطع العالم فيها علينا، تركنا لقدرنا المأساوي ذاك، عدت لتصفح القرآن من جديد، أحيانا كنت فقط أخرجه من رف مكتبتي لأستنشق حروفه، وأتمعن في خطوطه تلك، ولكنه كان جذابا بحيث يغريك أن تقرأه مرة ثانية وثالثة ..وفي القراءة يحدث دائما شيء من التأثير القوي في الروح، والذوبان مع الكلمات، لقد حاولت كذا مرة قراءة القرآن بطريقة محايدة، أي كما يمكن أن نقرأ أي كتاب آخر، ولكن عجزت عن ذلك، كان يفرض علي، حتى لو قرأته قراءة صامتة، أن أرتله في ذهني، وكان طبعا ترتيل المقرئ المصري عبد الصمد هو الذي يحضر ساعتها، فتستعيده الذاكرة، ويصبح هو القارئ الحقيقي للنص، ولست أنا.

أخذني الأدب إلى عالمه، وبقي القرآن الكريم يجذبني لعالمه الآخر، وبقيت سنوات طويلة، بل إلى حد الساعة بين عالمين يتمايزان، الأول بالنسبية، والثاني بالمطلق، ثم أكتشف أن بينهما لغة مشتركة. لغة هي التي حاولت أن أكتب بها بعد ذلك روايتي الأخيرتين «بخور السراب» و«أشجار القيامة».

ولحد الآن، لا أزال أتصفح المصحف الشريف، وأقرأ من حين لآخر سورا طوالا، أو قصارا مكتشفا ملذات لا يعبأ بها إلا من حلمه أن يكون في يوم من الأيام، مثلما حلم بورخس بذلك، كتابا في كتاب، كتابا يبدأ، ولكن لا ينتهي أبدا.

* كاتب من الجزائر

«راوي قرطبة» في معرض مدريد للكتاب

مدريد ـ مركز الخدمات الاعلامية

وجدت الرواية التاريخية العربية الاحدث صدوراً "راوي قرطبة" مكانها الطبيعي في معرض مدريد للكتاب، اذ وصلت مباشرة من مطابع "دار الفارابي" في بيروت الى كابينه رقم 85 في صالة العرض الوحيدة، تابعة للديوان، التي ضمت بعض الكتب العربية.

الحضور العربي بمؤسسات معدوم تماماً في مدريد على عكس ما حصل مثلاً قبل عامين في معرض فرانكفورت اذ كان الكتاب العربي ضيف المعرض. هذا الانقطاع التام، لولا مشاركة راوي قرطبة، غير مبرر خصوصا مع وجود حوالي مليوني عربي في اسبانيا، وعراقة الترابط الثقافي والحضاري العربي الاسباني بفضل تاريخ الاندلس الذي تدور حوله رواية عبد الجبار عدوان ذات ال 591 صفحة .

افتتحت ملكة اسبانيا مع وزيرة الثقافة المعرض يوم 25 الماضي، ويستمر المعرض حتى 11 الجاري ويركز هذا العام على العلوم. يشارك في المعرض 355 مؤسسة بين ناشر ومكتبة وموزع، وتشهد ايام العرض 300 نشاط تحت شعار التقارب بين المؤلف والقراء من كل الاعمار.

يلاحظ ان الاهتمام الاساسي في اسبانيا ينصب على التقريب بين الثقافات واللغات التي تتشكل منها البلاد. في العام الماضي استضاف المعرض الثقافة واللغة القطالونية، وهذا العام فازت الغاليسية بالاستضافة، وتشكلان مع الباسكية والقشتالية رباعية اركان القوميات الايبيرية بينما اقليم الاندلس قائم بذاته هو الاخر ولكنه يتحدث القشتالية بلكنة اندلسية لا يستشف منها الا الخبراء ان بها اكثر من ثلاثة الاف كلمة عربية. سيكون على الاجانب الذين يشكلون ثمانية بالمئة من السكان الانتظار لفترات اخرى حتى يفوزا بالاهتمام، خصوصا وان غالبية الاجانب من بلاد اميركا الجنوبية الذين يشاركون جميع الاسبان في التحدث بالقشتالية.

للمزيد من المعلومات عن راوي قرطبة ومشاهدة
صور ومعلومات عن الاندلس التاريخية :
www.rawicordoba.com

No virus found in this incoming message.
Checked by AVG Free Edition.
Version: 7.1.394 / Virus Database: 268.8.1/354 - Release Date: 01/06/2006

«المجرى الأنطولوجي»

كتاب جديد للمفكر عبد الصمد الكباص

عبدالعزيز بومسهولي*

■ عن سلسلة أبحاث فلسفية التي يشرف عليها مركز الأبحاث الفلسفية بالمغرب صدر للمفكر المغربي عبد الصمد الكباص كتاب فلسفي جديد تحت عنوان «المجرى الأنطولوجي» عن دار افريقيا الشرق 2006ـ 120 صفحة من القطع المتوسط.

في هذا الكتاب يستمر الباحث عبد الصمد الكباص في ترسيخ طروحاته الفكرية في مجال الفكر الفلسفي بالمغرب في سبيل الاسهام في انبثاق فلسفة جديدة، بوصفها فلسفة المستقبل لا تقوم على مجرد عرض الأفكار والقضايا الفلسفية كما هو الشأن مع العديد من الكتابات المتداولة، والتي لا تتعدى أهميتها في مجال العرض والاختصار أو التموقع ضمن زاوية منهج فكري معين، وانما تركب رهان المخاطرة التأويلية، والنحت الابداعي للاستشكالات الفلسفية. انه رهان «الوقاحة الضرورية بتعبير نتشه» التي تغدو بموجبها فلسفة المستقبل ممكنة. وهو ما يعني أن هذا المنظور المختلف يؤول الفلسفة باعتبارها انزلاقا نحو خارجية عرضيتها لتشكل أفق تفتتها وتشظيها، وبالتالي فهي ليست استمرارا لامتداد أصلي، تبدو فيه كاستئناف مسترسل لوحدة مستقرة فيه تتلقاها هذه الفلسفة وتحافظ عليها كمجرد تجل محتمل من تجلياتها، كما أنها ليست بحثا عن مركز يؤشر على ذلك العمق المفترض الذي فيه ترتكز الحقيقة الثابتة والمضمونة... بل انها فلسفة لا ينتظمها مركز تلتف حوله ليضمن تناسقها وتجانسها الموهوم. فلسفة لا تتشكل الا بهوامشها المتناثرة. التي لا تتحد كهوامش ازاء مركز ما من خلال ثنائية مركز ـ هامش، وانما هي هوامش نفسها، وبما هي كذلك فانها تنسف هذه الثنائية وتتجاوزها. فليس لها ما تتحدد ازاءه كهامش الا ذاتها من حيث هي تدفق مغمور بطفراته المفاجئة.

و بما أن هذه الفلسفة مشكلة بهوامشها المخترقة بفجوات تجعلها منفلتة من التصنيف والتعيين القبلي فانها لا تسعى لتعزيز أفق مشترك أو لتكريس أساس عام وموحد أو غاية كلية. وبما أنها تشظ وتفجر وتناثر فهي لا تقدم اثباتات ولا تتعقب موضوعات لتستجلي حقائقها المضمونة، وذلك هو أساس رهانها المتمثل في «المجرى الأنطولوجي». وفي هذا المفهوم الذي يجعل منه الباحث عبد الصمد الكباص رهانا لفلسفة المستقبل يتبلور منظور للوجود باعتباره حيزا لسيلان العالم وكثرته المسترسلة وتدفقه المستمر، واحتمالات حدوث يتولد من خلالها عالم غير قابل للتكرار ولا الاختزال، ولا للضبط والحصر، فالمجرى يبقى دائم الانفلات فهو تدفق لاحتمالات مشتتة تحدث بمحض الصدفة والمفاجأة.

يقترح الكتاب رؤية ابستيمولوجية لا ديكارتية تنبني على التأكيد على أنه ليس هناك بداهات تتأسس المعرفة على قاعدتها، وليس هناك ما هو بذاته، ولا تمييز بين ماهو واضح وما هو غير واضح، وحتى اللغة لا يمكن أن تكون واضحة، لأنه لا وجود للمعنى. ان العالم هو احتمال حدوث، وهذا هو التحديد اللامركزي الذي يقترح الباحث التفكير في أفقه ضمن مسار مضاد لأي نزوع مركزي تشميلي. ومن ثم فالحقيقة لن تكون سوى تمظهر لاحتمال حدوث. ليس هناك ما هو حقيقي بالمطلق فالجمال احتمال جمالي فقط. وصلب الحقيقة بطلانها وأفولها (أنظر كتاب الباحث أفول الحقيقة بالاشتراك مع ع. بومسهولي وح.أوزال سلسلة أبحاث فلسفية، افريقيا الشرق 2004) أما اللغة فتتحول في الكتاب من نظام للتفاهم الى فراغ يمتد في الكلمات، ان الكلام أثر لفقدان الدلالة والمعنى انعدام ومن ثم فاللغة نسيج مزدوج من الدال والفقدان الجذري للمدلول. ان المسألة تعود الى لعبة تتم داخل اللغة، انها لعبة تتغيا كل شيء من حيث هو لا شيء.

ان الحديث عن المجرى الأنطولوجي مهما استدعى لنفسه امتلاكه للحقيقة فانه في تصور الكاتب يظل مجرد كلام منهار يدمر نفسه. ذلك لأن رهان المختلف هو رهان المجرى الأنطولوجي.

يتضمن كتاب عبد الصمد الكباص 6 فصول وهي كالتالي:

1ـ المجرى الأنطولوجي ورهان المختلف.
2ـ النص والصدفة.
3ـ المحدود واللامحدود.
4ـ الاسم والعدم.
5ـ الفقدان الجذري للمدلول، ادعاء الوضوح وأفق الحقيقة المستحيلة.
6ـ في النقد الجذري للفكر التشميلي.

و لعل أهم خاصية تطبع فصول الكتاب انما تتمثل في اعتمادها طريقة للتفكير تتميز بانفلاتها عن الأساليب المتبعة غالبا تلك التي تتخفى وراء ادعاء أكاديمي أجوف. ولكنها في حقيقة الأمر لا تعمل الا على تكريس جاهزية النقل والتبني وتغييب القدرة على التأويل والابداع اللهم الا ما تعلق بتفعيل القدرة على توظيف أدوات الربط، والاغراق في عرض ببليوغرافيا مثقلة بالمصادر والمراجع والدوريات وغيرها.

ان رهان كتاب عبد الصمد الكباص هو الانفلات عن مجرى الكتابة التوثيقية، في سبيل ابداع فلسفة المستقبل.

* منسق لجنة اصدارات مركز الأبحاث